
مع القلب   تأليف
كامل محمد يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ذي الرضا المرغوب، يعفو ويصفح ويغفر الذنوب،يملي ويمهل لعل العاصي يتوب، يعطي ويرضى ويحقق المطلوب،يُطعم ويَسقي ويستر العيوب، يغني ويشفي ويكشف الكروب، واشهد أن لا إله الا الله وأن محمدﷺ خليله وصفوته من خلقه،أطهر الناس قلبا ،لقد صَبّرَ سبحانه بقدرته القلوب، فأجرى نبضها مجرى الموج في البحار فمن مال منها إلى حزب الشّيطان قد هلَك، ومن مال منها إلى أهل الذِّكر والتَّسبيح قد نجا وسلك، وتنزَّه عن السُّقوط في المكاره والخبائث والحفر، ومن قصر منها عن سلوك المصابرة، وتخلَّى عن المُضِي في طريق المجاهدة، وصَدَّ عن الخشية والمراقبة، ولم يلزم حصن التَّقوى في السّرِ والعلانِيَّة، وصمَّ سمعه عن الاستجابة للدَّاعي إذا دعاه، ولم يلبِّي هاتف النّداء، صاحت جوارحه صيحة واحدة، وأرعدت من الخوف والفزع، وأظلمت شعاب قلبه، وضاقت عليه مسالكه، وانحرف عن سواء السَّبيل، وضَلَّ عن سلوك الطَّريق المستقيم، ولم يهتد إلى معرفة منهاجه القويم،فالكلُّ جندٌ لهذه القلوب، إذا استقامت استقاموا، وإذا ضلَّت ضلُّوا، وشتَّان بين أهل العبادة والذِّكر،من اجتهدوا في دفع المعاصي عنهم بكل طريق يسلكونه، فازدادوا قربا من الله، وتوقُّدا وشدَّة في التمسُّك بالأحكام، وبين أهل الإعراض والغفلة، من ابْتُلوا بارتكاب المظالم واقتراف الآثام، فأفسدت عليهم دنياهم وآخرتهم،إنَّ مفاتيح السَّعادة لا يملكها إلا من أشرق قلبه بأنْوار الإيمان، فانْجَلى عن قلبه ظلام الضَّلالة والجهل، وتزوَّد في طريقه بزاد التقوي والإيمان، القرآن شفاء القلوب من داء لما فيها من ران وهموم وغموم وكروب ,دواؤك عنده فلا تلتمسه عند غيرهً , وشفاؤكَ بيده فلا تُتعِب الأطباء معك , "وإن من شيء إلا عنده خزائنه",أخي إذا أحسست بنفسك تسبح منك نحو ساحل الفتور , ولمست قلبك فأحسست بقساوته , وطلبت عينك فوجدتها جافة من قلة الدمع , وبحثت عن روحك فوجدتها سارحة مع غير الله ؛ فهرول مسرِعا إلى أسرع ما يشفيك وأعظم ما يُحدِث أثره فيك , لتغرف منه وتشرب فترتوي وتهتدي بإذن باريك، أثابك الله.

ثم أما بعد:~

الباب الأول
تعريف مصطلح القلب
الفصل الأول
القلب في معجم اللغة:

القلب في اللغة:-

المعنى اللغوي لكلمة قلب,سَأتوسع في المعنى اللغوي للقلب , فاللغة هي مفتاح المعاني, ولا يمكن الوصول الى أي تفسير خلافها , القَلْبُ تَحْويلُ الشيءِ عن وجهه قَلَبه يَقْلِبُه قَلْباً وأَقْلَبه,وقَلَبَ الشيءَ وقَلَّبه حَوَّله ظَهْراً لبَطْنٍ وفي نفس الصفحه وقَلَبْتُ الشيءَ فانْقَلَبَ أَي انْكَبَّ وقَلَّبْتُه بيدي تَقْلِيباً وكلام مَقْلوبٌ وقد قَلَبْتُه فانْقَلَب وقَلَّبْتُه فَتَقَلَّب وقَلَّبَ الأُمورَ بَحَثَها ونَظَر في عَواقبها وفي التنزيل العزيز وقَلَّبُوا لك الأُمور , وفي التنزيل العزيز فلا يَغْرُرْكَ ويقال قلب مَرِيضٌ من العَداوةِ وهو النِّفاقُ 《[1]》 .

---

1 / لسان العرب :(ج1 /ص: 685).

ويقال لِفُلان قَلْبٌ عَقُول ولِسانٌ سَؤُول وقَلْبٌ عَقُولٌ فَهِمٌ وعَقَلَ الشيءَ يَعْقِلُه عَقْلاً فَهِمه «[2]» ,والذَّكاءُ سُرْعة الفِطْنَة الليث الذَّكاءُ من قولك قلبٌ ذَكِيٌّ وصَبِيٌّ ذكِيٌّ إذا كان سريعَ الفِطْنَةِ وقد ذكِيَ بالكسر يَذْكَى ذَكاً ويقال ذَكا يَذْكُو ذَكاءً وذكُوَ فهو ذكِيٌّ ويقال ذكُوَ قَلْبُه «[3]» , وأَهلُ الأَهْواء واحدها هَوًى وكلُّ فارغٍ هَواء والهَواء الجَبانُ لأَنه لا قلب له فكأَنه فارغٌ تَقَلُّبهم في البلاد معناه فلا يَغْرُرْكَ سَلامَتُهم في تَصَرُّفِهم فيها فإِنَّ عاقبة أَمْرهم الهلاكُ «[4]» ,وقوله تعالى تَتَقَلَّبُ فيه القُلُوبُ والأَبصار قال الزجاج معناه تَرْجُف وتَخِفُّ من الجَزَع والخَوْفِ قال ومعناه أَن من كانَ قَلْبُه مُؤْمِناً بالبَعْثِ والقيامة ازدادَ بصيرة ورأَى ما وُعِدَ به ومن كانَ قلبه على غير ذلك رأَى ما يُوقِنُ معه أَمْرَ القيامة والبَعْث فعَلِم ذلك بقلبه «[5]» ,وشاهَدَه ببصره فذلك تَقَلُّبُ القُلوب والأَبصار وفي نفس الصفحة والقَلْبُ

---

[2] / لسان العرب:(ج11/ ص: 458).
[3] / لسان العرب :(ج 14 / ص:287).
[4] / لسان العرب :(ج 15 / 371).
[5] / لسان العرب:(ج1 /685).

مُضْغةٌ من الفُؤَاد مُعَلَّقةٌ بالنِّياطِ القَلْبُ الفُؤَاد مُذَكَّر والجمع أَقْلُبٌ وقُلوبٌ,وقوله تعالى نَزَلَ به الرُّوحُ الأَمِينُ على قَلْبك قال الزجاج معناه نَزَلَ به جبريلُ عليه السلام عليك فَوَعاه قَلْبُك وثَبَتَ فلا تَنْساه أَبداً وقد يعبر بالقَلْبِ عن العَقْل قال الفراءُ في قوله تعالى إِن في ذلك لَذِكْرى لمن كان له قَلْبٌ أَي عَقْلٌ وجائزٌ في العربية أَن تقولَ ما لَكَ قَلْبٌ وما قَلْبُك معك تقول ما عَقْلُكَ معكَ وأَين ذَهَبَ قَلْبُك ؟ أَي أَين ذهب عَقْلُكَ ؟ وقال غيره لمن كان له قَلْبٌ أَي تَفَهُّمٌ وتَدَبُّرٌ وَرُوي عن النبي صلى اللهّ عليه وسلم أَنه قال أَتاكم أَهل اليَمن هم أَرَقُّ قلوباً وأَلْيَنُ أَفْئِدَةً فوَصَفَ القلوبَ بالرِّقة والأَفْئِدَةَ باللِّين وكأَنَّ القَلْبَ أَخَصُّ من الفؤَاد في الاستعمال وقيل القُلُوبُ والأَفْئِدَةُ قريبانِ من السواءِ وكَرَّرَ ذِكْرَهما لاختلاف اللفظين تأْكيداً وقال بعضهم سُمِّي القَلْبُ قَلْباً لتَقَلُّبِه وأَنشد:

ما سُمِّيَ القَلْبُ إِلاَّ مِنْ تَقَلُّبه ... والرَّأْيُ يَصْرِفُ بالإِنْسان أَطْوارا . وروي عن النبي صلى اللّهّ عليه وسلم أَنه قال سُبْحانَ مُقَلِّب القُلُوب وقال اللّهّ تعالى ونُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهم وأَبصارَهم قال الأَزهري ورأَيت بعضَ العرب يُسَمِّي لحمةَ القَلْبِ كُلها شَحْمَها وحِجابَها قَلْباً وفُؤَاداً قال ولم أَرهم يَفْرِقُونَ بينهما قال ولا أُنْكِر أَن يكون القَلْبُ هي العَلَقة السوداءُ في جوفه وقَلَبه وقَلْبُ النخلةِ وقُلْبُها وقِلْبُها لُبُّها وشَحْمَتُها وهي هَنةٌ رَخْصةٌ بَيْضاءُ تُمْتَسخُ فتُؤْكل وفيه ثلاث لغات قَلْبٌ وقُلْبٌ وقِلْبٌ وقال أَبو حنيفة مَرَّة القُلْبُ أَجْوَدُ خُوصِ النخلة وأَشدُّه بياضاً وهو الخُوص الذي يلي أَعلاهاوقُلُوبَ الشجر يعني الذي يَنْبُتُ في وَسَطها غَضّاً طَريّاً وقَلْبُ النخلة جُمَّارُها وهي شَطْبة بيضاءُ رَخْصَة في وَسَطِها عند أَعلاها كأَنها قُلْبُ فضة رَخْصٌ طَيِّبٌ سُمِّيَ قَلْباً لبياضه شمر يقال قَلْبٌ وقُلْبٌ وقَلْبُ كلّ شيءٍ لُبُّه وخالِصُه ومَحْضُه وفي الحديث إِن لكلِّ شيءٍ قَلْباً وقلبُ القرآن يس وفي الحديث كان عليٌّ قُرَشياً قَلْباً أَي خالصاً من صميم

قريش وقيل أَراد فَهِماً فَطِناً من قوله تعالى لَذِكْرى لمن كان له قَلْبٌ 《[6]》 ,قلب القَلْبُ تَحْويلُ الشيءِ عن وجهه 《[7]》 ,قلب الشيء قلباً: حوّله عن وجهه. وحجر مقلوب, وكلام مقلوب. وقلب رداءه. وَقلبه لوجههِ كبّه, وقلبه ظهراً لبطن. وقلب البيطار قوائم الدابّة: رفعها ينظر إليها. وتقلّب على فراشه. والحية تتقلّب على الرمضاء. وَأقلبت الخبزة: حان لها أن تقلب. ورجلٌ أقلب: متقلب الشّفة. وشفة قُلباء: بيّنة القلب, وقلبت شفته. وقلب حِملاق عينيه عند الغضب. قال: قالب حملاقيه قد كاد يجنّ وحفل قليباً وقلباً وهي البئر قبل الطيّ فإذا طويت فهي الطويّ, وقلبت للقوم قليباً: حفرته لأنه بالحفر يقلب ترابه قلباً, والقليب في الأصل: التراب المقلوب. وقلبته: أصبت قلبه, وقلبه الداء: أخذ قلبه, وقلب فلان فهو مقلوب. وقلبت ناقته. قال ابن مولى المدنيّ:

---

6 / لسان العرب: (1ج / ص 685).

7 / لسان العرب: (ج1 / ص 689).

يا ليت ناقتي التي أكريتُها ... قلبت وَأورثها النجاز سعالا

وبه قلابٌ, وما به قلبةٌ: داء يتقلّب منه على فراشه أو هي من القلاب ثم اتسع فيها. قال النمر:

أودى الشباب وحبّ الخالة الخلبه ... وقد برئت فما في الصدر من قلبه ومن المجاز: قلب المعلّم الصبيان: صرفهم إلى بيوتهم, وقلب التاجر السّلعة وقلّبها: تبصّرها وفتّش عن أحوالها. وقلّب الدابة والغلام. ورجل قلّب حوّل: يقلب الأمور ويحتال الخيل. " وقلّبوا لك الأمور " وانقلب فلان سوء منقلب. وكلّ أحد يصير إلى منقلبه. وأنا أتقلّب في عمائه. وهو يتقلّب في أعمال السلطان " فانقلبوا بنعمةٍ من اللّٰه " " فأصبح يقلّب كفّيه " : يَتندم. وهو قالب الخفّ وغيره لما يقلب به جعل الفعل له وهو لصاحبه. وقلب المجنون عينه إذا غضب فانقلبت حماليقه. قال:قالب حِملاقيه قد كاد يجنو رجل قلبٌ: محضٌ واسطٌ في قومه وامرأة قلبٌ وقلبةٌ. قال أبو وجزة:

قلبٌ عقيلة أقوام ذوي حسبٍ ... ترمى المقانب عنها والأراجيل أي تذبّ عنها لعزةِ قومها. وأعرابي قلب. وإنه لمن قلوب المهاري إذا كان من سرّها. وجئتك بهذا الأمر قلباً: محضاً. وفي الحديث " إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس " . وكان يحيى إبن زَكرياء يأكل الجراد وقلوب الشجر. وقطع قلب النخلة وقلبها: شحمتها وهي الجمّار, وقطع قلبة النخل, وقلبت النخلة: نزعت قلبها. وفي يدها قلب فضّةٍ: سوار شبّه بقلب النخلة في بياضها. ويقال للحية البيضاء: قلب 》[8]《 .

---

[8] / ***أساس البلاغة : (ج 1 / ص 387)***

الخلاصة:-

من هنا نرى إن (قلب) في اللغة العربية تعني القلب الدموي وَاوردته وشرايينه واغلفته وَوتينه وهو القلب الدموي المادي الموجود في الصدر المعروف بين الرئتين , وكذلك يعني القلب المعنوي المتصل بمعنى العقل والحب والتفكير والإرادة ولم اجد اي شيء في كتب اللغة يؤكد معنى دون معنى لا بل يحتمل كل ١ المعاني ولم اجد ان القلب بِمعني التفكير والعقل ملتزم بالجسم الدموي بأي شكل من أشكال اللغة وبالمقابل فإن القلب يعني وسط الشئ ولبه وَاوسطه مكانا أو اعلاه مكانة أو قد يعني المنطقة الأخلص.

الفصل الثاني
القلب في الشريعة الإسلامية

القلب ذلك العضو المهم في جسم الإنسان , ذكر في القرآن صراحة أكثر من مائة وَثلاثون مرة , وقد حدد معظم المفسرين أنه هو:الجسم الصنوبري الشكل الموجود في تجويف الصدر بين الرئتين , وذكره الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم في حديثه المشهور (ألا إن في الجسد لمُضغة) فهل القلب الذي ذكره رسول اللّٰه في الحديث الصحيح هو القلب الدموي ؟ وهل القلب الواعي والمفكر للإنسان هو القلب الدموي الموجود في منطقة الصدر بين الرئتين ؟ أسئلة حيرت الكثيرين ممن بحثوا في الموضوع , قديما وحديثا , وأكثر ما حير المفسرين وَالشارحين هو الحديث الشريف , ففي الصحيحين عنه صلى اللّٰه عليه وسلم أنه قال : (إن في الجسد مضغة, إذا صلحت   لها سائر الجسد,

وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد, ألا وهي القلب) 《[9]》 ,وفى حديث النّعمان بن بشير أن النَّبِيّ صلى اللّٰه عليه وسلم قال: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ) 《[10]》 , ولقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن في الجسد مضغة ينبني عليها صلاح الجسد وفساده فإن صلحت فسيكون الجسد كله صالحاً لأنها تملي عليه الصلاح وإن فسدت كان الجسد كله فاسداً لأنها تملي عليه الفساد فليدع العبد ربه بأن يصلح قلبه حتى يكون صالحاً فلا يأمر

---

9 / رواه البخاري ومسلم.

10 / أخرجه أحمد (4/270 , رقم 18398) , والبخارى (1/28 , رقم 52) , ومسلم (3/1219 , رقم 1599) , وأبو داود (3/243 , رقم 3329 , رقم 3330) , والترمذى (3/511 , رقم 1205) وقال : حسن صحيح . وَالنسائى (7/241 , رقم 4453) , وابن ماجه (2/1318 , رقم 3984) , وأخرجه أيضًا : الدارمى (2/319 , رقم 2531) , والبيهقى سنن ابن ماجه – باقي + ألباني – (ج 2 / ص 1318).

صاحبه إلا بخير، ثم رأينا إن القلب في معانيه دخل عليها الفؤاد وَاللب والصدر والناصية والنفس والذات , كما ربط بالمُضغة والدم , وخاصة بعد ظهور العلم الحديث والاستكشافات العلمية الباهرة , وظهور أجهزة تصل الى القلب والفؤاد وتدرس وَظائفهما وما جرى من العمليات المعقدة في القلب والمخ , من كل هذا رَاينا من الضرورة الوصول الى نتيجة لا تخالف اللغة ولا تتعارض معها , وتتطابق مع معطيات العلم الحديث , وتؤيد النص الشريف وتوضحه .

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ الْهَمْدَانِىُّ حَدَّثَنَا أَبِى حَدَّثَنَا زَكَرِيَّاءُ عَنِ الشَّعْبِىِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ « إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِى الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِى الْحَرَامِ كَالرَّاعِى يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ

أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ) 《[11]》 كما رواه أحمد بن حنبل ولفظه : إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله , وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب 《[12]》 ,وأَخْبَرَنَا أَبُوْعَبْدِ اللَّهِ الْحَافِظ ثَنَا أَبُوْبَكْرأَحْمَد بْن إِسْحَاق الفَقِيْه إِمْلَاء أَنَا مُوْسَى بْن الْحَسَن بْن عباد وعمَرْوَ بْن تميم قَالَا: ثَنَا أَبُو نُعَيْم وهُوَ الْفَضْل بْن دكين فذكره بإسناده ومعناه وزاد:أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ. الأربعون الصغرى للبيهقي .

شرح حديث القلب مضغة:

بالرجوع الى كتب شرح الحديث نجد ما يلي(ألا وإن في الجسد مضغة الخ...) قال أهل اللغة يقال صلح الشيء وفسد اللام والسين وضمهما . والفتح أفصح وأشهر .

---

11 / رواه البخاري ومسلم.

12 / رواه أحمد بن حنبل.

والمضغة القطعة من اللحم سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها .] 《[13]》 ,مضغة: بضم الميم وسكون الضاد المعجمة, بعدها غين معجمة, بعدها تاء, هي القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ الماضغ, والمضغ: العلك . ثم ذكر صلى الله عليه وسلم أن في الجسد لحمة صغيرة لطيفة, بقدر ما يمضغ, وأن هذه القطعة من اللحم, هي القلب, وأن هذا القلب, هو السلطان المدبر لمملكة الأعضاء وما تأتي من أعمال, كما أن عليه مدار فسادها وما تجره من شر.

فإن صلح هذا القلب, فإنه لن يأمر إلا بما فيه الخير وسيصلح الجسد كله 《[14]》 ,وإن فسد, فسيأمر بالفساد والشر, وتكون الأعمال معكوسة منكوسة والله ولى التوفيق.

---

13 / تأسيس الأحكام – (ج 5 / ص 133).

14 / تيسير العلامة شرح عمدة الحكام- للبسام (ج 2 / ص 196 .

ثم ذكر النبي (صلى اللّٰه عليه وسلم) كلمة جامعة لِصلاح حركات ابن آدم وفسادها وأن ذلك كله بحسب صلاح القلب وفساده , فإذا صلح القلب صلحت إرادته وصلحت جميع الجوارح فلم تنبعث إلى طاعة اللّٰه واجتناب سخطه فقنَعت بالحلال عن الحرام . وإذا فسد القلب فسدت إرادتهُ, فَفسدت الجوارح كلها وأنْبعث في معاصي اللّٰه عز وجل وما فيه سخطه ولم تقنع بالحلال ؛ بل أسرعت في الحرام بحسب هوى القلب وميله عن الحق , فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع يوم القيامة عند اللّٰه غيره , وهو أن يكون سليما عن جميع ما يكرهه اللّٰه من إرادة ما يكرهه اللّٰه وَيسخطه ولا يكون فيه سوى محبة اللّٰه وإرادته ومحبته ما يحبه اللّٰه وإرادة ذلك وكراهة ما يكرهه اللّٰه والنفور عنه . والقلب الفاسد : هو القلب الذي فيه الميل على الأهواء المضلة والشهوات المحرمة , وليس فيه من خشية اللّٰه ما يكف الجوارح عن اتباع هوى النفس ,فالقلب ملك الجوارح وسلطانها , والجوارح جنوده ورعيته المطيعة له المنقادة

لأمره , فإذا صلح الملك صلحت رعاياه وجنوده المطيعة له المنقادة لأوامره , وإذا فسد الملك فسدت جنوده ورعاياه المطيعة له المنقادة لأوامره و نواهيه 《[15]》 ,أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ هذه أيضاً جملة مؤكدة بـ (ألا)و(إنَّ) والمعنى :ألا وإن في جسد الإنسان مضغة ,أي قطعة لحم بقدر ما يمضغه الإنسان عند الأكل ,وهي بمقدار الشيء الصغير,إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ, وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ, أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ رتب النبي صلى الله عليه وسلم الجزاء على الشرط, فمتى صلح القلب صلح الجسد ,وإذا فسدت فسد الجسد كله,وقد مثل بعض العلماء هذا بالملك, إذا صلح صلُحت رعيته, وإذا فسد فسدت,لكن نظر فيه العلماء المحققون وقالوا: هذا المثال لا يستقيم, لأن الملك ربما يأمر ولا يُطاع, والقلب إذاأمر الجوارح أطاعته ولابد, فهو أبلغ من أن يقول: كالملك يأمر الرعية, فإذا صلح القلب

---

15 / *فتح الباري ـ لابن رجب (ج 1 / ص 208).*

فلابد أن يصلح الجسد 《[16]》 ,وفسد اللحم بفتح اللام وَالسين وَضمهما والفتح أفصح وأشهر والمضغة القطعة من اللحم سميت بذلك لأنها تمضغ في الفم لصغرها قالوا المراد تصغير القلب بالنسبة إلى باقي الجسد مع أن صلاح الجسد وفساده تابعان للقلب وفي هذا الحديث التأكيد على السعي في صلاح القلب وحمايته من الفساد واحتج بهذا الحديث على أن العقل في القلب لا في الرأس وفيه خلاف مشهور مذهب أصحابنا وجماهير المتكلمين أنه في القلب وقال أبو حنيفة هو في الدماغ وقد يقال في الرأس وحكوا الأول أيضا عن الفلاسفة والثاني عن الأطباء قال المازري واحتج القائلون بأنه في القلب بقوله تعالى أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وبهذا الحديث فإنه صلى اللّٰه عليه و سلم جعل صلاح الجسد وفساده تابعا للقلب مع أن الدماغ من جملة الجسد فيكون صلاحه

---

[16] / *قسم الحديث والمصطلح – (ج 7 / ص 3).*

وفساده تابعا للقلب فعلم أنه ليس محلا للعقل واحتج القائلون بأنه في الدماغ بأنه إذا فسد الدماغ فسد العقل ويكون من فساد الدماغ الصرع في زعمهم ولا حجة لهم في ذلك لأن اللّٰه سبحانه وتعالى أجرى العادة بفساد العقل عند فساد الدماغ مع أن العقل ليس فيه ولا امتناع من ذلك قال المازري لا سيما على أصولهم في الاشتراك الذي يذكرونه بين الدماغ والقلب وهم يجعلون بين رأس المعدة والدماغ اشتراكا واللّٰه أعلم قوله (عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه و سلم يقول وأهوى النعمان بأصبعيه إلى أذنيه) هذا تصريح بسماع النعمان عن النبي صلى اللّٰه عليه و سلم وهذا هو الصواب الذي قاله أهل العراق وجماهير العلماء, قال القاضي وقال يحيى بن معين أن أهل المدينة لا يصححون سماع النعمان من النبي صلى اللّٰه عليه و سلم وهذه حكاية ضعيفة أو باطلة واللّٰه أعلم 《[17]》 .

---

[17] / *شرح النووي على مسلم – (ج 11 / ص 29).*

الخلاصة:-

في حديثه صلى اللّٰه عليه وسلم لم اجد ولا اشارة واحدة مطلقة على إن القلب هو هذا القلب الدموي الموجود بين الرئتين, لا على العكس من ذلك وكما سَيظهر فإن الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم وَكانه يريد أن يصرفنا عن القلب الدموي, وكل الشارحين للحديث اكدوا على ان القلب بحجم مضغة صغيرة وبما لا ينطبق مع حجم القلب الدموي الذي نعرفه , واختلفوا في اشارة الحديث لصلاح الجسد او انه هو كناية عن الصلاح المعنوي.

الباب الثاني
أنواع القلوب
الفصل الأول
أنواع القلوب في القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب اللّٰه المعجز,المحفوظ بأمر اللّٰه, والمواكب لأحداث كل عصر وزمان, وهو من أعظم الكتب على وجه الأرض, هذا الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه أبدا....والذي قال عنه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم: «إن هذا القرآن مأدبة اللّٰه, فتعلموا مأدبته ما استطعتم, وإنّ هذا القرآن هو حبل اللّٰه, وهو النور المبين, والشفاء النافع, عصمة من تمسك به, ونجاة من تبعه,لا يُعوج فيقوّم, ولا يزيغ فيُستعتب, ولا تنقضي عجائبه, ولا يخلق عن كثرة الرد, أُتلوه فإن اللّٰه يأجركم على تلاوته؛ بكل حرف عشر حسنات, أما إني لا أقول «ألم» حرف ولكن بِالألف عشراً وَباللام عشرا, وبالميم عشرا»

وهذا الكتاب الكريم به العبر والعظات التي لو تأمل فيها كل منا لوجد علاجا لكل ما يواجه في مسيرة الحياة..

والقرآن الكريم كله نفحات وتجليات وفوق ذلك نور وشفاء ورحمة فيقول تعالى: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين...) 《[18]》 ,ومن الموضوعات المهمة التي تناولها القرآن الكريم في هديه هو موضوع أنواع القلوب في القرآن الكريم :-

وقد قالوا قديماً: القلب ملك, والأعضاء جنوده ؛ فإذا صلح القلب, صلحت الرعية, وإذا فسد القلب فسدت الرعية!

ولقد صدق القائل:

وإذا حلت الهداية قلبا .... نشطت للعباد الأعضاء

ولقد كان الصالحون يخشون أن تشغل قلوبهم بغير اللّٰه ؛ فإذا أحبوا شيئا من الدنيا ووافق هواهم تركوه خوفا من أن يشغلهم عن ذكر اللّٰه, إذ إن كل من شغل بِشئ أحبه, وإذا شغل الإنسان بحب الدنيا انشغل بها قلبه عن حب الآخرة.

وأفضل الدعاء لعلاج القلب من الآفات والنقائص والقسوة والصدأ أدعية الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم: اللهم مصرف

---

18 / سورة الإسراء :(82).

القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك «》[19]《 , وعن عائشة رضي اللّٰه عنها أن الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم كان يكثر من قوله: «يا مقلب القلوب, ثبت قلبي على طاعتك» 《[20] 》,فقالت عائشة: إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء يا رسول اللّٰه؟

قال: وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع اللّٰه, إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه «《[21]》 , وفي رواية: ((إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللّٰهِ عز وجل فَإِذَا شَاءَ أَزَاغَهُ, وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ)) 《[22]》 , و لهذا كان دعاؤه صلى اللّٰه عليه وسلم: يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك «《[23]》 ,وإن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد, وجلاؤها بتلاوة القرآن,يقول رسولنا صلى اللّٰه عليه وسلم: «إن في

---

19 / ***أخرجه مسلم.***

20 / ***رواه الترمذي.***

21 / ***أخرجه الحاكم.***

22 / مسند أحمد، 41/ 151، برقم 24604، وسنن النسائي الكبرى، كتاب صفة الصلاة، الاستغفار بعد التسليم.

23 / ***أخرجه الترمذي.***

الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله, وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» 《[24] 》 , وقوله: ((إن قلوب)) تعليلاً لسبب دعوته صلى اللّٰه عليه وسلم وهي أن قلوب العباد بين إصبعين من أصابعه, من يشأ يضللْه, ومن يشأ يهديه, فينبغي للعبد الإكثار من هذه الدعوات المهمة التي تتعلق بأجل مقامات العبودية , وُومِن حق القلب علينا أن نُحصنه من الآفات بتلاوة القرآن عن وعي وإدراك, وبالصلاة التي تستغرق العقل والوجدان.. وبذكر اللّٰه الذي يتجه فيه الإنسان بقلبه وجوارحه إلى مولاه الخالق الرحمن,والقلوب هي أسرار العباد.. فمن طابت سريرته طابت حياته,والمسلم الحق ليس من طبعه الحقد والكره والبغض, لان الإسلام دين سمح شامل يشمل الجميع برحمته وسماحته, لِذالك كان من داعائهِ:اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ)) 《[25]》 .

---

[24] / ***متفق عليه.***

[25] / رواه مسلم، كتاب القدر، باب تصريف اللّٰه تعالى القلوب كيف شاء، برقم 2654.

أنواع القلوب في القرآن الكريم كثيرة منها:-

1/**القلوب البيضاء:** وأصحاب القلوب البيضاء هم أولئك الذين تأبى قلوبهم أن تفتح مساماتها لغير الحق,ومنها :[القلب المطمئن والقلب السليم والقلب المنيب وَالقلب الوجل والقلوب المقشعرة اللينة وَالقلوب التَقية] والقلوب السوداء والقلوب المُخبتة والقلوب المؤلفة]

القلوب المقشعرة اللينة, والقلوب التقية: وهو القلب الذي يعظم شعائر الله, القلوب المخبتة, القلوب المؤلفة.

2/ **القلوب السوداء :** تلك القلوب التي استسلم أصحابها لأهواء الشيطان .

انواع القلوب السوداء:-

[القلبِ الغليظ وَالقلب الزائغ والقلب الغافل والقلب القاسي]

أ/**القلب الغليظ:** هو القلب الشديد الذي لايَتأثر خالي من الرحمة وَالرأفه.

دليله قال تعالى :"فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" ﴿[26]﴾ .

ب/القلب الزائق: هو قلب تائِهاً, حائِراً, غَيْرَ مُهْتَدٍ لِلطَّريقِ الصَّحيحِ مائل عن الحق .

دليله قوله تعالى:{ فأَمَّا الَّذِينَ في قُلوبِهِمْ زَيْغٌ } ﴿[27]﴾ .

ج/ القلب الغافل: هو القلب غير منتبهٍ لما يجب الانتباه إليه,غافلا عن ذكرنا, وآثَرَ هواه على طاعة مولاه.

قوله تعالى:{ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا } ﴿[28]﴾ .

د/القلب القاسي: وهو القلب الذي لا يعرف الله ولا يذكره.

---

[26] / سورة آل عمران:(159).
[27] / سورة آل عمران:(7).
[28] / سورة الكهف :(28).

3/القلب المتدبر: هو ذلك القلب الذي فتح اللّٰه عليه بهديِه وبنوره فيَتَّدبر الآيات ويفهم الأسباب ويستخلص العظات.

فقوله تعالى: (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) 《[29]》 .

4/القلب المنيب: وهو دائم الرجوع والتوبة إلى اللّٰه سبحانه وتعالى ومقبل على طاعته قال تعالى: ‹‹من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ›› 《[30]》 .

5/القلب المخبت: الخاضع الساكن المطمئن , قال تعالى: (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم) 《[31]》 .

---

29 / سورة محمد:(24).

30 / سورة ق:(33).

31 / سورة الحج :(54).

6/القلب السليم: وهو القلب المخلص لله سبحانه وتعالى وخال من الكفر والنفاق قال تعالى: (يوم لا ينفع مال بنون *إلا من أتى اللّٰه بقلب سليم) 《[32]》 .

7/القلب الوجل: وهو ذلك القلب الذي يخاف اللّٰه تعالى أن لا يقبل منه العمل وَلا ينجى من العذاب فهو في حالة من الخوف المنجي من اللّٰه عز وجل. قال تعالى: «والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون» 《[33]》 .

8/القلب التقي: وهو الذي يعظم شعائر اللّٰه سبحانه وتعالى ويتقيه في كل صغيرة وكبيرة, قال تعالى: (ذلك ومن يعظم شعائر اللّٰه فإنها من تقوى القلوب) 《[34]》 .

9/القلب المهدي: الراضي بقضاء اللّٰه والتسليم بأمره قال تعالى (ومن يؤمن بالله يَهدي قلبه) 《[35]》 .

---

[32] / سورة الشعراء :(88: 89).
[33] / سورة المُؤمنين:(62).
[34] / سورة الحج :(32).
[35] / سورة التغابن :(11).

10/القلب المطمئن : وهو ذلك القلب الذي يسكن بتوحيد الله وذكره قال تعالى: (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) وقال أيضاً: ‹‹ألا بذكر الله تطمئن القلوب ›› 《[36]》 .

11/القلب الحي:وهو قلب يعقل ما قد سمع من الأحاديث التي ضرب الله من عصاه من الأمم, قال تعالى: (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) 《[37]》 .

وكما أن هناك قلوبا مطيعة نابهة ساعية إلى طاعة الله عز وجل فهناك أيضاً قلوب عليها غشاوة المعصية وصدأ الذنوب...!

12/ القلب الأعمى: وهو الذي لا يبصر ولا يدرك الحق والاعتبار قال تعالى: (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) 《[38]》 .

---

36 / سورة الرعد :(28).
37 / سورة ق:(37).
38 / سورة الحج:(46).

13/القلب اللاهي: هو القلب الغافل عن القرآن الكريم مشغول بأباطيل الدنيا وشهواتها لا يعقل ما ينتظره من أهوال الآخرة. قال تعالى): (لاهية قلوبهم) 《[39]》 .

14/القلب الآثم: وهو الذي يكتم شهادة الحق وربما شهد الزور. قال تعالى: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه) 《[40]》 .

15/ القلب المريض:

وهو الذي أصابه مرض مثل الشك أو النفاق وفيه فجور ومرض في الشهوة الحرام .

{ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } 《[41]》 .

16/القلب المتكبر:

مستكبر عن توحيد الله وطاعته, جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

---

39 / سورة الأنبياء:(3).
40 / سورة البقرة:(283).
41 / سورة الأحذاب :(32》 .

{قلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} 《[42]》 .

17/ القلب المختوم:

فلم يسمع الهدى ولم يعقله .

{ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ } 《[43]》 .

18- القَلب الأَغلف:

قلب مغطى, لا يَنْفُذ إليه قول الرسول صلى اللّه عليه وسلم.

{ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ }.

---

42 / سورة غافر :(35).

43 / سورة الجاثية :(23).

الفرع الأول

آيات ذكر "القلب" في القرآن الكريم

جاءت الإشارة إلى القلب في القرآن الكريم بالإفراد والجمع، ومع عدد من الضمائر المختلفة (132) مرة , وجميع الناس إلى اليوم يعتقدون بأن القلب هو مجرد مضخة تضخ الدم الفاسد إلى الرئتين لتنقيته، وتتلقى الدم المؤكسد منهما لتضخه إلى مختلف أجزاء الجسم وأولها [المخ] الذي لو تأخر ضخ الدم إليه لثوان معدودة لهلك صاحبه-.

وفى ظل سيادة هذا الاعتقاد نجد أن القرآن الكريم قد تنزل من قبل ألف وأربعمائة سنة بالتأكيد على أن للقلب وظائف أخرى منها أنه هو الذي يكسب الأعمال خيرها وشرها، وهو مكان الاطمئنان والأمن أو الانزعاج والخوف والرعب، وهو محل الشهادة أو إنكارها، ومحل الخير أو الإثم، ومحل الهداية أو الزيغ، وهو محل الفهم والفقه، أو

سوء الفهم واللبس, وهو محل الرقة واللين أو القسوة والغلظة, وهو محل اليقين أو الريبة, والإيمان أو الكفر, واليقظة أو الغفلة, وهو محل التعقل ووزن الأمور أو تضييعها, ومحل البصيرة أو العمى, ومحل السلامة أو الحقد, ومحل القصد والعمد أو العشوائية والارتجال, وهو سبب الانفتاح على أيٍ من الخير أو الشر أو الانغلاق على أي منهما, وهو محل الخشية والإنابة أو التبجح في المعصية والغي, ومحل التذكر والفطنة أو النسيان والغفلة, ومحل المحبة والرحمة والرأفة, أو الكراهية والغل والقسوة, ومحل الهداية أو الضلال, ومحل غير ذلك من الصفات التي تشكل شخصية الإنسان؛ لأن أعمال العبد إما أن تطهر قلبه وَتزكيه أو تتجمع عليه كَالرآن الأسود فتَطمسه وَتجخيه.

سنذكر ماتيَسر منها:-

الآية الأولى: قال تعالي:[كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) 《[44]》

---

[44] / سورة غافر :(35).

الآية الثانية :قال تعالى[إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ] 《[45]》 .

الآية الرابعة:قال تعالى:[خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ] 《[46]》 .

الآية الخامسة: قال تعالي: [في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا] 《[47]》 .

الآية السادسة: قال تعالى:[ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ] 《[48]》

الآية السابعة: قال تعالى:[وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ] 《[49]》 .

الآية الثامنة: قال تعالى:[قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ] 《[50]》 .

---

[45] / سورة ق :(37).
[46] / سورة البقرة:(7).
[47] / سورة البقرة :(10).
[48] / سورة البقرة :(74).
[49] / سورة البقرة:(88).
[50] / سورة البقرة:(93).

الآية التاسعة: قال تعالى:[قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ] ***《[51]》*** .

الآية العاشرة:قال تعالى:[كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ] ***《[52]》*** .

الآية الحادي عشر : قال تعالى:[إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ] ***《[53]》*** .

الآية الثاني عشر: قال تعالى:[قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا] ***《[54]》*** .

الآية الثالث عشر: قال تعالى:[وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ] ***《[55]》*** .

الآية الرابعه عشر: قال تعالى:[وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ] ***《[56]》*** .

---

[51] / سورة البقرة:(97).
[52] / سورة البقرة:(118).
[53] / سورة البقرة:(143).
[54] / سورة البقرة:(144).
[55] / سورة البقرة:(204).
[56] / سورة البقرة:(255).

الآية الخامسة عشر:قال تعالى:[قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ..] 《[57]》 .

الآية السادسة عشر: قال تعالى:[وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ] 《[58]》 .

الآية السابعة عشر: قوله تعالى:[فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ] 《[59]》 .

الآية الثامنة عشر:قوله تعالى:[رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً] 《[60]》 .

الآية التاسعة عشر:قوله تعالى:[وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ] 《[61]》 .

الآية العشرين: قوله تعالى:[وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ] 《[62]》

---

57 / سورة البقرة:(260).
58 /سورة البقرة:(283).
59 / سورة آل عمران:(7).
60 / سورة آل عمران:(8).
61 / سورة آل عمران:(103).
62 / سورة آل عمران:(126).

الآية الواحدالعشرين:قوله تعالى:[لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ] 《[63]》 .

الآية الثانيه وعشرين: قوله تعالى:[سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ] 《[64]》 .

الآية الثالثه وعشرين: قوله تعالى:[...وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] 《[65]》 ,الآية الرابعة وعشرون: ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ 《[66]》 ,

الآية الخامسة وعشرون:(يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ] 《[67]》 .

---

[63] / سورة آل عمران:(127).
[64] /سورة آل عمران:(151).
[65] / سورة آل عمران:(154).
[66] / سورة الحج :(32).
[67] / سورة التوبة :(45).

الفصل الثاني

بعض انواع القلوب في السنة النبوية المطهرة:-

انواع القلوب في السنة النبوية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللّٰه صل اللّٰه عليه وسلم: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأي المدتين غلبت على الأخرى غلبت عليه» 《[68]》 .

مفردات الحديث:

قلب أجرد: ليس فيه غل ولا غش

قلب أغلف: قاسي لا يفهم , ولا يقبل الموعظة

---

[68] / رواه أحمد.

قلب منكوس: قلب اعتل بعد شفاؤه أي انتكس.

قلب مصفح: اجتمع فيه الإيمان والنفاق.

شرح الحديث:

ندرك جميعًا أن بني آدم خلقوا على أصناف وأنواع وليسوا جميعهم نوع واحد, وهذا ما يصفه لنا حديث رسول اللّٰه صل اللّٰه عليه وسلم عن أنواع قلوب البشر فقال أنها على أربعة أنواع في الحديث أعلاه:-

***القلب الأول:** هو القلب الأجرد الذي لا يحمل غل ولا غش قلب صافي ينيره الإيمان وهو قلب المؤمن الذي عمره الإيمان فأنارهُ وشبه رسول اللّٰه القلب بالسراج والإيمان بالنور الذي أنار هذا السراج.*

النوع الثاني: قلب أغلف مربوط على غُلفه لا يسمح للنور أن يتخلله أو أن يعبر إليه فهو قاس وغليظ وهذا هو قلب الكافر الذي لا يقبل الموعظة ولا يسمح للإيمان بأن ينير قلبه والتشبيه هنا في مربوط على غُلفه يعني يزيد من قساوتهِ وغلظته.

النوع الثالث: قلب منكوس وهو قلب أصابته العلة وانتكس بعد شفاؤه منها والمقصود به في الحديث هو قلب المنافق الذي عرف الإيمان طريق قلبه فأناره وشفاه من علة الكفر إلا أنه اعتل مرة أخرى لما تسلل النفاق والكفر إلى قلبه فاعتل وصار منتكس.

النوع الرابع: قلب مصفح وهو النوع الأخير فهو قلب يحمل النور والعتمة في آن واحد الإيمان والنفاق في نفس القلب, وشبه رسول اللّٰه صل اللّٰه عليه وسلم الإيمان في ذلك القلب بالبقلة التي إن وجدت الرعاية كبرت ونمت والمقصود بها الأعمال الصالحة, وشبه النفاق بالقرحة التي أصابت القلب كلما أمددتُها بالخبيث من العمل وشبهه بالدم والقيح زادت رقعتها في القلب واستفحلت فيه, وهنا يظل القلب في حالة من التزعزع والحيرة حتى يغلب عليه إما الإيمان وذلك بكثرة الأعمال الصالحة والعبادات أو يغلب عليه النفاق والكفر بكثرة الأعمال الخبيثة والمعاصي والذنوب.

مايُرشد إليه الحديث:

- الأعمال الصالحة تنقي القلب وتغسله من الخطايا والذنوب.
- يجب على المسلم أن يفتح قلبه للموعظة ولا يمل منها أو ينكرها ويتكبر عليها.
- النفاق يشبه القرحة التي تصيب القلب والمعاصي تزيد اتساع هذه القرحة في القلب حتى تستحوذ عليه.
- الإيمان مَثَل البقلة يجب أن ترْاعها وتمدها بالأعمال الصالحة حتى تحيا وتعمر القلب أيضا من أنواع القلوب في السنة النبوية المطهرة:-

النوع الخامس: *القلب القاسي :عن أبي مسعود قال: أشار النَّبي صلى اللّٰه عليه و سلم بيده نحو اليمين وقال: ((››الإيمان هاهنا - مرتين - ألا وإنَّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين - حيث يطلع قرنا الشيطان - ربيعة ومضر»)) 《[69] 》 ,] إنَّ المؤمنَ إذا أذنب ذنبًا كانت نكتةً سوداءَ في قلبه, فإن تاب ونزع واستغفر صقلتْ قلبَه, فإن زاد زادت حتى تُغلقَ قلبَه, فذلك الرانُ الذي قال اللّٰهُ جل ثناؤه كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهْم مَّا*

---

69 / **متفق عليه .**

كَانُوا يَكْسِبُونَ) ﴿[70]﴾ ,وعلاجه ورد فى السنة النبوية الشريفة:- وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه, أن رجلًا شكا إلى رسول اللهُ صلى اللهُ عليه وسلم قسوة قلبه, قال: ‹‹إن أردت أن يلين قلبك, فأطعم المسكين, وامسح بِرأس اليتيم›› ﴿[71]﴾ .

النوع السادس: القلب الميت"هو الذي لا يعرف ربَّه, ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه, بل هو واقف مع شهواته ولذاته, ولو كان فيها سخط ربه وغضبه, فهو متعبِّد لغير اللهُ حُبًّا وخوفًا, ورجاءً ورضًا, وسخطًا وتعظيمًا, وذُلًّا, ومخالطة صاحب هذا القلب سقم, ومعاشرته سُمّ, ومجالسته هلاك".

عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: [مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ] ﴿[72]﴾ ,ومن علامات موت القلب كذلك: ضِيقُ الصدر, والشُّعورُ بالقَلق والغم, قال –تعالى-: (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ) ﴿[73]﴾ .

النوع السابع : القلب الأسود هو الذي إِستسلم صاحِبه لِأهواء الشيطان لايَتأثر ولايرئَف وَلايعرف معروفاً وَلايُنكر منكراً إلا لهواه.

---

[70] / رواه الترمذي.

[71] / حسنه الألباني

[72] / *رواه البخاري.*

[73] / سورة الأنعام:(125).

الحديث عن حزيف بن اليمان ان الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم قال: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا, ولا يُنْكِرُ مُنْكَرًا, إلَّا ما أُشْرِبَ مِن هَواهُ 《[74]》 .

النوع الثامن: القلب الأبيَض: هو القلب الصافي الذي لاتضُره فتنه ولايَسْتسلم للشيطان وينكر المنكر والمعروف هواه.

دليله :الحديث عن حزيف بن اليمان ان الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم قال: "تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلاَ تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لاَ يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلاَ يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلاَّ مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ" 《[75]》 .

---

[74] / رَواه مسلم.

[75] / رَواه مسلم.

الفصل الثالث
مفاتيح رقة القلوب وجلاؤُوُها

إليك أيها القارئُ الحبيب كيف ترق القلوب ؟

وأما كيف السبيل إلى رقة القلب وانكساره, فلا يكون ذلك إلا بتشخيص دائه وعلته, والعزم على قلعها من القلب واجتثاثها, وإحلال الدواء والعلاج مكانها .

قال رجل للحسن يا أبا سعيد ! أشكو إليك قسوة قلبي قال : أدنه من الذكر !

وقد روي أن رجلا سأل عائشة رضي الله عنها : ما دواء قسوة القلب ؟ فأمرته بعيادة المريض وتشييع الجنائز, وتوقع الموت ,وشكا رجل إلى مالك بن دينار قسوة قلبه فقال : أدمن الصيام, فإن وجدت قسوة فأطل القيام, فإن وجدت قسوة فأقل الطعام وسئل ابن المبارك : ما دواء قسوة القلب قال : قلة الملاقاة ,وقد ذكر الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ كلاما جميلا في بيان أسباب رقة القلب فقال : لكل شيء جلاء, وإن جلاء القلب ذكر الله ـ عز وجل .

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس والفضة وغيرهما, فجلاؤُهُ بالذكر, فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء, فإذا ترك صدأ, فإذا ذكره جلاه .

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب .

وجلاؤه بشيئين : بالاستغفار والذكر .

فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته, كان الصدأ متراكبا على قلبه, وَصدؤه بحسب غفلته, وإذا صدئ القلب: لم ينطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه, فيرى الباطل في صورة الحق, والحق في صورة الباطل, لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم, فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه .

فإذا تراكم عليه الصدأ واسود, وركبه الران ! فسد تصوره وإدراكه, فلا يقبل حقا, ولا ينكر باطلا, وهذا أعظم عقوبات القلب, وأصل ذلك من الغفلة, واتباع الهوى, فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره قال تعالى : " وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا " 《[76]》 ,إذًا, فرقة القلب سبيلها الطاعة ثم الذكر والاستغفار .

---

[76] / سورة الكهف :(28).

فأما الطاعات فلأن الطاعة نور يزداد القلب بها نورا وضياء , قال تعالى : " نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ " 《[77] 》 ,وعن محمد بن حامد قال : قال أحمد بن خضرويه : القلوب أوعية, فإذا امتلأت من الحق أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح, وإذا امتلأت من الباطل أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح ,وأما الاستغفار والذكر فإنه يصقل القلب ويذهب ظلمته وغفلته, ويجدد فيه الحياة , فعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت» 《[78]》 , ومن أهم الطاعات التي تحصل بها رقة القلب :

1- أداء الفرائض كما أمر الله جل وعلا .

2- اجتناب الكبائر والصغائر, لاسيما الكذب والغيبة والحسد والنميمة .

---

[77] / سورة النور:(25).

[78] / *رواه البخاري 11/206 الفتح, ومسلم (6/68 النووي.*

3- الاشتغال بذكر اللّٰه ـ جل وعلا ـ أو المداومة على أذكار الصباح والمساء، وملازمة الاستغفار على سائر الأحوال .

4- الرحمة بالضعفاء والمساكين والدنو من الفقير وَالمحتاج، وزيارة المريض، واتباع الجنائز، فإن هذه الأعمال تحيي في القلب الانكسار، وتجعله مراقبًا لنعمة الصحة متعلقا بالله ـ راغبًا في عفوه، ورحمته .

5- تدبر الآخرة، والتفكر في القيامة وأحوالها ومنازلها ومشاهدها، وما أعده اللّٰه للعصاة من عذاب ونكال وجحيم، وما أعده لعباده الصالحين من نعيم .

6- الخلوة بالنفس ومحاسبتها، وتجديد الإيمان فيها بالتفكر في آيات اللّٰه وآلائه .

7- البعد عن الخلطة السيئة، وإصلاح خواطر القلب الضارة فإنها باب الشر وأصله

عن علي بن الحسين قال : قال أبو تراب : ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلب .

الباب الثالث
أمراض القلوب وعلاجها

لم يخلق اللّٰه داءً إلا خلق له دواء, فأنزل القرآن وجعل فيه الشفاء للأمراض البدنية والروحية, ومن هذه الأمراض ما يتعلّق بالقلب وضعفه, فقال تعالى: "وشفاء لما في الصدور" 《[79]》 ,وهذه إشارة واضحة للقلب بين الضلوع, وما في القلب من أمراض نفسية أو جسدية, فلا يقف أثر القرآن عند القلب أو العقل؛ فهو شفاء ودواء لكل ألم وهم وحزن, ولكل كروب الحياة ومنغّصاتها,فالقلب وإن كان عضواً حسياً فله جانب معنوي كبير حيث إنّه مركز الإيمان, وأنّ الخلل والمرض الذي يصيب الإنسان في عقيدته يكون في قلبه حيث قال تعالى :" فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور " 《[80]》 ,ولأنَّ القلب له هذه الأهمية البالغة كان لا بدّ أن يكون للقرآن ذلك التأثيرالكبير عليه, حيث إنّ الإنسان

---

[79] / سورة يونس:(57).
[80] / سورة الحج:(46).

بفطرته والقلب بصفائه يتوق لآيات القرآن، وأنه بمجرد سماعها أو قراءتها فإنّه ينتشي ويطمئن فيكون له كالماء الذي ينزل على الأرض الميتة فيحييها فتربو من جديد ليظل القرآن هو المعجزة الخالدة والنور التام.

" حقيقة القلب " : حقيقة القلب أنه كالجسد في التأثر سلبا وإيجابا، فهو يصح ويمرض ويجوع ويشبع، ويسعد ويشقى، ويُكسى ويعرى، وكل ذلك بحسب نوع المؤثرات التي تحيط به , فالقلب يمرض، ومرضه الكفر والشك، والريبة والشرك، والحقد والحسد، والغيبة والكذب، والعجب والكبر وغيرها مما يرتبط بهذه المعاني , ويشترك معها في مطلق الشِر ك,ودواؤه من هذه الأمراض يحصل بالتوبة منها , وترويض القلب على اجتثاثها واشتغاله بما ينفعه .

قال إبراهيم الأحوص : دواء القلب خمسة أشياء :

1- قراءة القرآن بتدبر .

2- خلاء البطن .

3- قيام الليل .

4- التضرع عند السحر .

5- مجالسة الصالحين .

وسئل إبراهيم بن الحسن عن سلامة القلب فقال : العزلة والصمت, وترك استماع خوض الناس, ولا يعقد القلب على ذنب ولا على حقد, ويهب لمن ظلمه حقه .

ويمرض القلب أيضا بحب الدنيا والإقبال عليها, فإذا مرض بهذا الداء استعصى على صاحبه الشفاء, قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : ‹‹لا يزال قلب الكبير شابًا في اثنتين حب الدنيا وطول الأمل›› 《[81]》 ,وعن إسحاق بن محمد قال : "شغلوا قلوبهم بحب الدنيا عن اللّٰه عز وجل, ولو تركوها لجالت في الملكوت ثم رجعت إليهم بطرائف الفوائد " وعن ابن سماك أنه سمع امرأة كانت تسكن البادية تقول : لو تطالعت قلوب المؤمنين بفكرها إلى ما ادخر لها في حجب الغيب من خير الأجر, لم يصفُ لهم في الدنيا عيش, ولم تقر لهم في الدنيا عين .

---

81 / صحيح البخاري.

وعن الحسين الحامدي قال : سمعت حارث بن أسد يقول : بلية العبد تعطيل القلب من فكرة الآخرة, حينئذ تحدث الغفلة في القلب .

وقال أبو الخير التيناني : حرام على قلب مأسور بحب الدنيا أن يسيح في روح الغيب .

وكما أن القلب يمرض بعد الصحة فإنه يجوع كما تجوع الأبدان, وجوعه ليس من نقص الطعام والشراب, وإنما بالغفلة عن ذكر اللّٰه ـ جل وعلا ـ والأنس بغيره, وإشغاله بما لا يذهب خلته وحاجته, بل يزيد منها ويؤجج نارها .

فإن الشواغل التي تحيط بالقلب تجعله أسيرا مدمنًا على الاشتغال بها, ويجد منها فراغًا وفاقة, وهي سبب جوعه ومرضه, ثم هو لا يقوى على الحيدة عن شواغله التي سكنت غلافه .

وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما

يبن، ولا آخر اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها » 《 82》 ,وإنما اشترط ذاك النبي عليه السلام هذه الشروط حتى لا يكون بين أفراد جيشه من شغل قلبه بغير اللّٰه، والجهاد في سبيل اللّٰه، والإقبال على الدار الآخرة فإن الشواغل تكون سببا في طول الأمل وكراهية الموت فهي مجبنة للنفس مثبطة للعزيمة والصبر,وعن ثابت قال : قيل لعيسى عليه السلام : " لو اتخذت حمارا تركبه لحاجتك ؟ قال : أنا أكرم على اللّٰه من أن يجعل لي شيئا يشغلني به ! ,وعن الحارث بن نبهان قال : قدمت من مكة، فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة (إناء صغير، والجمع: ركاء) ، فكانت عنده، فجئت يوما فجلست في مجلسه، فلما قضاه قال لي : يا حارث ! تعال خذ تلك الركوة فقد شغلت علي قلبي ! فقلت : يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب فقال يا حارث ! إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي : يا مالك : إن الركوة قد سرقت، فقد شغلت عليَّ قلبي !

---

82 | رواه البخاري ومسلم.

وقال أبو محمد المرتعش : سكون القلب إلى غير المولى تعجيل عقوبة من اللّٰه في الدنيا!,وقال يحيى بن معاذ : النسك هو العناية بالسرائر, وإخراج ما سوى اللّٰه ـ عز وجل ـ من القلب وأما عري القلب فإنه يكون بذهاب التقوى قال تعالى : " وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ " ﴿[83]﴾ , فإذا فقد عنصر التقوى من القلب كثرت عليه الأخلاط واشتد جوعه, وقوي مرضه , وتمزق كساؤه وَغطاءه, فلم يعد يَقوي على مواجهة أدنى مصاعب الحياة وأضعفها , فلا ترى صاحبه إلا مغمومًا مهمومًا, يشكو الفاقة وهو غني, ويشكو الأسقام وهو صحيح, ويشكو العمى وهو يبصر, ويشكو الضيق وهو يسكن القصور!,وما ذلك إلا بسبب الفساد الذي أصاب قلبه , فأفسد عليه عقله وروحه ونفسه وبدنه, فلم ينفع لعلاجه ما يملك ولا ما يسكن, وليس له علاج إلا بانتزاع الداء وجلب الدواء, وما دواؤه إلا بالتقوى " أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " ﴿[84]﴾ ,قال سهل بن عبد اللّٰه : ما من

---

83 / سورة الأعراف :(26).
84 / سورة الرعد :(35).

ساعة إلا والله ـ عز وجل ـ مطلع على قلوب العباد, فأي قلب رأى فيه غيره, سلط عليه إبليس ,وعن عبد الجبار بن بشران قال : سمعت سهلا يقول : من نظر إلى الله عز وجل قريباً منه, بعد عن قلبه كل شيء سوى الله عز وجل, ومن طلب مرضاته أرضاه الله عز وجل, ومن أسلم قلبه تولى الله عز وجل جوارحه !, وعن محمد بن سعيد التميمي العابد قال : رأيت فتى في بعض سواحل الشام, فقلت يا فتى منذ كم أنت ههنا ؟ قال : لا أدري قال : ولم ؟ قال لأنه قبيح بمن يحب أن يحصي الأوقات على من يحبه ! ثم أنشدني :

إذا فرقت بين المحبين سلوة ... فحبك لي حتى الممات قرين

سَأصفيك وُدي ما حييت فإن أمت ... بودك عظمي في التراب دفين

فاِقتراف المحرمات والاشتغال بالدنيا والحرص عليها, والتفريط في الأوامر والواجبات والغفلة عن الله جل وعلا, كلها تحدث في القلب مزيجا من الأخلاط التي تذهب بنور القلب وصفائه, ووده ونقائه, وتجعله أسيرا للهوى والشيطان والشهوات والنفس الأمارة بالسوء, فحينئذ يخلو

القلب من نور الله , ويصبح مظلما مسودًا لا يبصر ولا يفقه شيئا !,قال ابن سمعون في مجلسه : " ما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ‹‹إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ولا تمثال›› 《[85]》 , فإذا كان الملك لا يدخل بيتا فيه صورة أو تمثال, فكيف تدخل شواهد الحق قلبًا فيه أوصاف غيره من البشر .

أهمية القلب:-

يعتبر القلب العضو الأبرز في الجسم, والذي يعمل على ضخ الدم المحمّل بالأكسجين لجميع أجزاء الجسم, وبالتالي فإنَّ أي مشكلة فيه قد تعرض الجسم بأكمله للخطر؛ ولذلك كان لا بدّ من الاهتمام والعناية بالقلب اهتماماً بالغاً ومن جميع النواحي، ولكن الأدوية وحدها التي قام الإنسان بصنعها لم تسد الحاجة, وخاصة في بعض حالات الأمراض النفسية أو الجسدية المرتبطة بالجانب النفسي، ونتيجةً لذلك حاول العلماء البحث عن الحل الأنجع ألا وهو

---

[85] | رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

القرآن الكريم, ومدى تأثير سماعه على عضلة القلب, فبمجرد سماع الإنسان له يحبه ويرغبه ويؤثر في نفسيته كثيراً, وينقل بدوره تأثيره على الناحية الجسمية؛ لما فيه من السكون والراحة حيث قال تعالى: "ألا بذكر اللَّه تطمئنُ القلوب". القرآن والقلب القرآن شفاء لكل الأمراض الجسدية والروحية فهناك الكثير من الآيات التي جاءت تتحدث عن أثر القرآن على القلب ومنها: "ألا بذكر اللَّه تطمئن القلوب" وفي آيات أخرى: " وشفاء لما في الصدور", كما تحدث ابن القيم عن هذه الآية, وأنَّ المقصود بها الأمراض البدنية والروحية التي تصيب القلب, وقد وجد العلماء أثر هذه الآيات على القلب, وتبين أنّ أكثر الأمراض التي تصيب القلب أسبابها بالدرجة الأولى نفسية, وهذه رسالة القرآن الأولى وهي علاج القلوب بما فيها من أدران ومعتقدات غير صالحة تكون سبباً في فساد القلب وهذا ما جاءت به الأحاديث: "ألا وإنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً, إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وإذَا فَسَدَتْ , فسدَ الجَسدُ كُلُّهُ. ألا وهِيَ

القَلبُ "، وفي آية ثالثة يقول المولى: "ويشف صدور قوم مؤمنين"، ثم جاءت هذه الآية لِتخص المؤمنين الذين يسكن ويعمر القرآن قلوبهم، فهي أكثر تأثيراً فيهم، فكلما زادت درجة اليقين بكلام اللّٰه كلّما كان تأثيره أكبر، ومن السور القوية التي لها تأثير قوي على القلب هي سورة "غافر"، وكذلك سورة الفاتحة وذلك أن تضع يدك اليمنى على صدرك وذلك قبل النوم ثمّ تقرأ الفاتحة سبعاً. القرآن شفاء عام هو ما أشار إليه ابن القيم في كتابه صيد الخاطر في حديثه عن القرآن، فالقلب وإن كان عضواً حسياً فله جانب معنوي كبير حيث إنّه مركز الإيمان، وأنّ الخلل والمرض الذي يصيب الإنسان في عقيدته يكون في قلبه حيث قال تعالى :" فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "؛ ولأنَّ القلب له هذه الأهمية البالغة كان لا بدّ أن يكون للقرآن ذلك التأثيرالكبير عليه، حيث إنّ الإنسان بفطرته والقلب بصفائه يتوق لآيات القرآن، وأنه بمجرد سماعها أو قراءتها فإنّه ينتشي ويطمئن

فيكون له كالماء الذي ينزل على الأرض الميتة فيحييها فتربو من جديد ليظل القرآن هو المعجزة الخالدة والنور التام. هل كان المقال مفيداً؟ نعم لاتَعتري قلب الإنسان أمراضٌ وعللٌ ذكرها اللّٰه في كتابه العزيز؛ يُذكر منها:

[1] الإثم؛ قال تعالى: (...وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ) ﴿[86]﴾ .

[2] فالآثِام من الأمراض التي تُسبّب الأذى للقلوب؛ وهي كلُّ ذنبٍ صغيرٍ أو كبيرٍ، وتبتدئ الآثام كما ذكر العلامة الشيخ ابن القيم من الخطرة، فإن لم تُدفع تحوّلت إلى وسوسةٍ، فإن لم تُدفع تحوّلت إلى شهوةٍ، فإن لم تُدفع تحوّلت إلى إرادةٍ، فإن لم تُدفع قويت فصارت عزيمةً على الفعل؛ فاستحال دفعها. الزيغ؛ وهو من أمراض القلوب، ويعني الميل عن الهدى والاستقامة، والانحراف عنها إلى غيرها من وجوه الضلالة والعصيان. الغلّ؛ ويعني الحقد الكامن في النفس، وَالعداوة والضغينة، قال اللّٰه -تعالى- على لسان عباده المؤمنين: (وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا).

[3] القلب القاسي؛ قال الرسولﷺ:[عن أبي مسعود قال: أشار النَّبي صلى اللّٰه عليه و سلم بيده نحو اليمين وقال: ((

---

86 / سورة البقرة :(283).

«الإيمان هاهنا - مرتين - ألا وإنَّ القسوة وغلظ القلوب في الفدادين - حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر»)) 《[87] 》 .

أسباب قسوة القلب:-

من أسباب قسوة القلب: هناك العديد من الأسباب التي تورث في القلب القسوة نذكر منها:

أ/تعلق القلب في الدنيا والانشغال بملذاتها وتعظيم قدرها والركون إليها, ونسيان الآخرة.

ب/الصحبة السيئة, فرفيقُّ السوء يؤدي بصاحبه إلى

ج/ارتكاب المعاصي كالزنا والسرقة, كما يحثه على ترك العبادات.

د/كثرة الذنوب والمعاصي, وعدم مبادرة الإنسان للتوبة منها, فالذنوب لها آثار وخيمة على القلب قد تؤدي إلى موته, ولا يكون علاج تلك الآثار إلا من خلال التوبة الصادقة إلى اللّٰه مع استشعار مراقبة اللّٰه تعالى لعباده.

قلب "

" أسباب قسوة القلب "

وأما أسباب قسوة القلوب فهي كل سبب يبعد عن اللّٰه جل وعلا ويوجب سخطه وغضبه ؛ لأن القلب إذا كان لله كان

---

87 / متفق عليه.

رقيقًا , وإذا كان لغيره كان قاسيا غليظا , لا ينفع فيه وعظ , ولا تجدي فيه نصيحة إلا أن يشاء اللّٰه .

وإنما يقسو القلب إذا فسد, وفساده يكون لأسباب هي :
1- البعد عن طاعة اللّٰه والاشتغال بمعصيته, فهذا كما ذكرنا يظلم نور القلب, ويملأه بالران الذي يحول بينه وبين الحق , ويكون سببا في فساده وغلظته .
2- التعلق بالدنيا والحرص عليها وطول الأمل .
قال سيار أبو الحكم : الفرح بالدنيا والحزن بالآخرة لا يجتمعان في قلب عبد, إذا سكن أحدهما القلب فر الآخر .
3 - نسيان الآخرة وما فيها من نعيم : فإن نسيانها يفوت على المرء لذاذة التذكر, وتجدد العزيمة بالتفكر في نعيم الجنة وما أودع اللّٰه فيها لعباده الصالحين مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

عن خالد بن معدان قال : ما من عبد إلا وله عينان في وجهه يبصر بهما أمر الدنيا, وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة, فإذا أراد اللّٰه بعبد خيرا, فتح عينيه اللتين في قلبه, فأبصر بهما ما وعد اللّٰه بالغيب, وإذا أراد اللّٰه به غير ذلك تركه على ما فيه, ثم قرأ : " أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا " ﴿[88]﴾ .

---

[88] / سورة محمد :(24).

2- الاشتغال بما يفسد القلب : ومفسدات القلب خمسة وهي :

▪ كثرة المخالطة التي ليس من ورائها إلا الضياع والعذاب, كمخالطةِ السفهاء والأشرار, ومخالطة الناس في الحرام كالغيبة والنميمة ... ومخالطتهم في المباحات, فإن هذا النوع من المخالطة من أعظم أسباب قسوة القلب, وعلى المسلم أن يتجنبها وينعزل بنفسه وجسده, فإن لم يستطع فَبشعوره ! .

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدي

عن النواس بن سمعان ـ رضي اللّٰه عنه ـ عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : «ضرب اللّٰه مثلا صراطا مستقيما, وعلى جنبتي الصراط سوران, فيهما أبواب مفتحة, وعلى الأبواب ستور مرخاة, وعلى الصراط داع يدعو يقول : يا أيها الناس ! اسلكوا الصراط جميعا ولا تعوجوا وداع يدعو على الصراط, فإذا أَرد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال : ويلك ! لا تفتحه فإنك إن تُفتح تلجه فالصراط : الإسلام, والستور : حدود اللّٰه, والأبواب المفتحة : محارم اللّٰه والداعي من فوق : واعظ اللّٰه يذكر في قلب كل مسلم» 《[89]》 .

أم علاج القلب القاسي في السنة النبوية:-

---

[89] | رواه أحمد (1/182) , والحاكم (1/73) , وقال صحيح على شرط مسلم , ووافقه الذهبي, وصححه الألباني في المشكاة .

قال الرسول ﷺ :[وعن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه, أن رجلًا شكا إلى رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم قسوة قلبه, قال: «إن أردت أن يلين قلبك, فأطعم المسكين, وامسح برأس اليتيم» 《[90]》 .

من الأمور التي تعالج قسوة القلب وترققه هي:

[أ] الحرص على ذكر اللّٰه تعالى، والالتجاء إلى اللّٰه دائما بالذكر والسؤال.

[ب] المحافظة على الفرائض التي كتبها اللّٰه على عباده, والإكثار من نوافل الطاعات والعبادات.

[ت]البعد عن الكسب الخبيث, والحرص على الكسب الطيب الحلال.

[د] الإكثار من التوبة والاستغفار,

[ث] والإكثار من ذكر الموت وزيارة القبور لما فيها من التذكير بالآخرة, وأخذ العبرة من الدنيا وتغيير أحوالها.

[د] الاتعاظ بأهل البلاء من المرضى والمحتضرين.

[4] إباء القلب؛ ويعني رفض الإذعان للحقّ, ورفض الاستجابة لما أمر اللّٰه به من الإيمان, والركون إلى الكفر والفسوق والعصيان.

الغلظة؛ وهي شدّة القلب وقسوته, وهي ضدُّ الرّقة واللين. النفاق؛ وهو من أخطر أمراض القلب؛ حيث يُؤدي

---

[90] / حسنه الألباني.

إلى موتها إذا ما استفحل واستطال شِرره، قال اللَّه -تعالى- عن المنافقين: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) ﴿[91]﴾ ، علاج أمراض القلوب في الإسلام من الوسائل والأساليب التي تُعيين على علاج أمراض القلوب أيضا:-

[ج] قراءة القرآن الكريم، والحرص على تدبّر آياته؛ ففى كتاب اللَّه -تعالى- الشفاء الأكيد من أمراض القلوب وعللها. التوبة النصوح؛ فالتَّوبة من الذنوب والسيئات تُطهّر القلوب، وتُطيّبها من الأدران والأمراض. الاجتهاد في الأعمال الصالحة، والإكثار من نوافل العبادات من صلاةٍ وصيامٍ، والحرص على الأذكار من تسبيحٍ وتحميدٍ وتهليلٍ وتكبيرٍ، والحرص على الصدقة وبذل الخير للناس. مجالسة الأخيار والصالحين، واجتناب رفقاء السوء. كمال المحبة لله -تعالى-؛ فلا يُحبّ العبد ولا يُبغض إلّا في اللَّه؛ فإذا امتلأ القلب بمحبة اللَّه -تعالى- كان ذلك سبباً عظيماً من أسباب علاج أمراض القلوب.

[ح] الإخلاص ومراقبة النفس ومحاسبتها؛ فالنفس إن لم تُحاسب وتُراقب اتّبعت الهوى وأشرفت على الهلاك.

أسباب أمراض القلوب:-

لا شكّ بأنّ لأمراض القلوب أسبابٌ؛ منها الفتن التي تُعرض على القلوب؛ فإن رفضها القلب فاز وأفلح، وإلّا خاب

---

91 / سورة البقرة:(10).

وانتكس، ومن الأسباب كذلك؛ الشهوات والمعاصي، والانشغال بالدنيا وملذاتها، والغفلة عن ذكر اللّٰه، واتّباع الهوى والشُبهات، وأكل ما حرّم اللّٰه من الربا والرشوة وغير ذلك.

كلام إبن القيم على أمراض القلوب وعلاجها:

القيم رحمه اللّٰه كلام نفيس في كتابه زاد المعاد في بداية الجزء الرابع، حيث قال رحمه اللّٰه تعالى: "ونحن نُتْبِع ذلك -يعني ما تقدم من أبواب بذكر فصول نافعة في هديه في الطب الذي تطبب به، ووصفه لغيره، ونبيّن ما فيه من الحكمة التي تعجز عقول أكثر الأطباء عن الوصول إليها، وأن نسبة طبهم إليها كنسبة طب العجائز إلى طبهم".

ثم يقول: "المرض نوعان: مرض القلوب، ومرض الأبدان، وهما مذكوران في القرآن، ومرض القلوب نوعان: مرض شبهة وشك، ومرض شهوة وغيّ، وكلاهما في القرآن"، وذكر الآيات في ذلك.

ثم يقول: "فأما طب القلوب فمسلم إلى الرسل صلوات اللّٰه وسلامه عليهم، ولا سبيل إلى حصوله إلا من جِهتهم وعلى أيديهم" وهذا صحيح، فعلاج القلوب، وعلاج الشبهات، وعلاج الجهل بالله سبحانه وتعالى، وعلاج الغفلة عن الدار الآخرة، وما يعتري الناس من ظلمات الضلال والكفر والإلحاد،

والشك والزيغ والعناد؛ كل هذا لا يعالجه علماء الطب, ولا علماء النفس, ولا علماء الاجتماع, إنما يعالجه الرسل صلوات اللّٰه وسلامه عليهم, والذين هم أهل علاج هذه القلوب.

يقول ابن القيم رحمه اللّٰه: "فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها, وبأسمائه, وصفاته, وأفعاله, وأحكامه, وأن تكون مؤثرة لمرضاته ومحابّه, متجنبة لمناهيه وَمساخطه, ولا صحة لها ولا حياة البتة إلا بذلك, ولا سبيل إلى تلقيه إلا من جهة الرسل, وما يظن من حصول صحة القلب بدون اتباعهم؛ فغلط ممن يظن ذلك, وإنما ذلك حياة نفسه البهيمية الشهوانية, وصحتها وقوتها, وحياة قلبه وصحته وقوته عن ذلك بمعزل" يعني: أن طب غير الأنبياء يمكن أن يعالج النفس الشهوانية والجسد الحيواني, لكن القلب عن ذلك بمعزل؛ لأنه لا يعالجه إلا القرآن.

يقول: "ومن لم يميز بين هذا وهذا -بين طب القلوب وطب الأبدان- فليبك على حياة قلبه, فإنه من الأموات, وعلى نوره, فإنه منغمس في بحار الظلمات".

ثم يقول :"ونحن نقول: إن هاهنا أمراً آخر نسبة طب الأطباء إليه كنسبة طب الطرقية والعجائز إلى طبهم" الطرقية هم الأطباء الجوالون الذين يعالجون على الشوارع والطرق,

ويدعون أنهم أطباء، وهم أناس لا خبرة لهم بالطب، وإنما ينتحلون أنهم أطباء، وحقيقة ما يفعلونه أنه أسلوب من أساليب الكدية والاستجداء (الشحاذة).

يقول ابن القيم: ("وقد اعترف به حذاقهم وأئمتهم؛ فإن ما عندهم من العلم بالطب؛ منهم من يقول: هو قياس، ومنهم من يقول: هو تجربة" يعني: أن الطب البشري -طب الأبدان الموجود في جميع المستشفيات- إنما هو من قياس حالة على حالة، أو يكون تجربة.

يقول ابن القيم رحمه الله: "منهم من يقول: هو قياس، ومنهم من يقول: هو تجربة، ومنهم من يقول: هو إلهامات ومنامات، وحدس صائب" أي أن الطبيب يخمن ويقدر، فيصيب أحياناً ويخطئ أحياناً، "ومنهم من يقول: أخذ كثير منه من الحيوانات البهيمية -وهذا واقع إلى اليوم- كما نشاهد السنانير -القطط- إذا أكلت ذوات السموم تعمد إلى السراج، فتلغ في الزيت تتداوى به، وكما رئيت الحيات إذا خرجت من بطون الأرض وقد عشيت أبصارها -لأنها تفاجأ بالشمس- تأتي إلى ورق الرازيانج فتمر عيونها عليها، وكما عهد من الطير الذي يحتقن بماء البحر عند انحباس طبعه، وأمثال ذلك مما ذكر في مبادئ الطب.

وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره؟!" فهيهات

أن تكون هذه التجارب مثل ما أوحاه اللّٰه إلى نبيه محمد صلى اللّٰه عليه وسلم, قال تعالى: ((وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ)) ﴿[92]﴾ ,وقال: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) ﴿[93]﴾ ,يقول: "فَنِسبة ما عندهم من الطب إلى هذا الوحي، كنسبة ما عندهم من العلوم إلى ما جاءت به الأنبياء، بل ها هنا من الأدوية التي تشفي من الأمراض ما لم يهتد إليها عقول أكابر الأطباء, ولم تصل إليها علومهم وتجاربهم وأقيستهم, من الأدوية القلبية والروحانية مثل: قوة القلب, واعتماده على اللّٰه, والتوكل عليه, والالتجاء إليه, والانطراح والانكسار بين يديه, والتذلل له, والصدقة, والدعاء, والتوبة, والاستغفار, والإحسان إلى الخلق, وإغاثة الملهوف, والتفريج عن المكروب, فإن هذه الأدوية قد جربتها الأمم على اختلاف أديانها ومللها, فوجدوا لها من التأثير في الشفاء ما لا يصل إليه علم من هو أعلم الأطباء, ولا تجربته, ولا قياسه, وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة, وَرأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية" لا يفهم من قول ابن القيم: "وقد جربنا ..." أنه جرب هذه الأمور ليختبرها هل تنفع أم لا تنفع؛ لأن من استخدم هذه الأمور ليرى هل تنفع أو لا تنفع, كان هذا سبباً لعدم انتفاعه, لأنه

---

92 / سورة الإسراء :(105).
93 / سورة النجم :(3: 4).

لم يأخذ بها عن يقين، وقد تنفع لكن صاحبها على خطر في إيمانه.

ثم يقول: "وقد جربنا نحن وغيرنا من هذا أموراً كثيرة، ورأيناها تفعل ما لا تفعل الأدوية الحسية، بل تصير الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطرقية عند الأطباء، وهذا جار على قانون الحكمة الإلهية، ليس خارجاً عنها؛ ولكن الأسباب متنوعة"، فمنها: التوبة، والاستغفار، والدعاء، وإغاثة الملهوف، وتفريج كربات المكروبين، جعلها اللّٰه من أسباب الشفاء، وجعل أيضاً الأعشاب أو الأغذية أو الأدوية النافعة أسباباً للشفاء، فالذين لا يؤمنون بالآخرة لا يعرفون إلَّا الماديات المحسوسات؛ لأنهم يعتبرون الإنسان هو هذا الجسد، مثل البهيمة، فيعالجونه بما تعالج به البهيمة من العلف والماء فقط.

يقول: "فإن القلب متى اتصل برب العالمين، وخالق الداء والدواء، ومدبر الطبيعة ومصرفها على ما يشاء، كانت له أدوية أخرى غير الأدوية التي يعانيها القلب البعيد منه المعرض عنه، وقد علم أن الأرواح متى قويت، وقويت النفس والطبيعة، تعاونا على دفع الداء وقهره، فكيف ينكر لمن قويت طبيعته ونفسه، وقد فرحت بقربها من بارئها، وأنسها به، وحبها له، وتنعمها بذكره، وانصراف قواها كلها إليه، وجمعها عليه، واستعانتها به، وتوكلها

عليه؛ أن يكون ذلك لها من أكبر الأدوية وأن توجب لها هذه القوة دفع الألم بالكلية؟!" فالصحابة رضوان اللّٰه عليهم كانوا أصح الناس عقولاً بلا ريب، وفي نفس الوقت من أصح الناس أبداناً؛ لأن القلب إذا صح وتداوى بهذه الأدوية، صح الجسد بإذن اللّٰه تبارك وتعالى أيضاً، وإن ابتلوا بمرض، فإن قوة إيمانهم وتوكلهم وتضرعهم يعطيهم من تحمل المرض ما لا يستطيع غيرهم أن يتحمله، وكذلك المؤمنون، فإنه إذا ابتلي شخصان أحدهما قوي الإيمان والآخر ضعيف الإيمان بمرض، فإن قوي الإيمان يكون حاله أحسن من ضعيف الإيمان، وسبب ذلك: ما يحمله الأول من سريرته السليمة، لإيمانه بقضاء اللّٰه وقدره، وصبره على ما ابتلي به.

يقول: "ولا ينكر هذا إلا أجهل الناس، وَأغلظهم حجاباً، وَأكثفهم نفساً، وأبعدهم عن اللّٰه وعن حقيقة الإنسانية، وسنذكر إن شاء اللّٰه السبب الذي به أزالت قراءة الفاتحة داء اللدغة عن اللديغ التي رُقي بها، فقام حتى كأن ما به قَلَبَة".

قال: "فهذان نوعان من الطب النبوي -البدني، والقلبي- نحن بعون اللّٰه تعالى سنتكلم عليهما بحسب الجهد والطاقة، ومبلغ علومنا القاصرة، ومعارفنا المتلاشية جداً،

وبِضاعتنا المزجاة، ولكنا نستوهِب من بيده الخير كله، ونستمد من فضله، فإنه العزيز الوهاب".

أدوية القلوب من القرآن والسنة

يذكر ابن القيم أنواع الأدوية من الكتاب والسنة لعلاج القلب من الهم والغم والحزن (ص:200) فيقول:

"هذه الأدوية تتضمن خمسة عشر نوعاً من الدواء؛ فإن لم تقو على إذهاب داء الهم والغم والحزن، فهو داء قد استحكم، وتمكنت أسبابه، ويحتاج إلى استفراغ كلي:

الأول: توحيد الربوبية.

الثاني: توحيد الإلهية.

الثالث: التوحيد العلمي الاعتقادي.

الرابع: تنزيه الرب تعالى عن أن يظلم عبده، أو يأخذه بلا سبب من العبد يوجب ذلك.

الخامس: اعتراف العبد بأنه هو الظالم.

السادس: التوسل إلى الرب تعالى بأحب الأشياء، وهو أسماؤه وصفاته، ومن أجمعها لمعاني الأسماء والصفات: الحي القيوم.

السابع: الاستعانة به وحده.

الثامن: إقرار العبد له بالرجاء.

التاسع: تحقيق التوكل عليه، والتفويض إليه، والاعتراف له بأن ناصيته في يده، يصرفه كيف يشاء، وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه.

العاشر: أن يرتع قلبه في رياض القرآن، ويجعله لقلبه كالربيع للحيوان، وأن يستضيء به في ظلمات الشبهات والشهوات، وأن يتسلى به عن كل فائت، وَيتعزى به عن كل مصيبة، وَيستشفي به من أدواء صدره، فيكون جلاء حزنه، وشفاء همه وغمه.

الحادي عشر: الاستغفار.

الثاني عشر: التوبة.

الثالث عشر: الجهاد.

الرابع عشر: الصلاة.

الخامس عشر: البراءة من الحول والقوة وَتفويضهما إلى من هما بيده" هذه المجموعة من الأدوية ملخص ما ورد من أنواع الأدوية التي جاءت في الكتاب والسنة.

وذكر قبل ذلك بعض الأحاديث: وأولها: دعاء الكرب الذي عن ابن عباس رضي الله عنهما: {لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم} 《[94]》 ,ثم يقول ابن القيم رحمه الله (ص:201) في بيان جهة تأثير هذه الأدوية

---

94 / أخرجه الشيخان.

في هذه الأمراض: "خلق اللّٰه سبحانه وتعالى ابن آدم وأعضاءه، وجعل لكل عضو منها كمالاً، إذا فقده أحس بالألم، وجعل لملكها -وهو القلب- كمالاً، إذا فقده حضرته أسقامه وآلامه من الهموم والغموم والأحزان"، ولهذا لا تجد فاجراً ولا فاسقاً ولا عاصياً ولا كافراً إلا مهموماً حزيناً مهما كان، ولا تنظر إلى القشرة الخارجية؛ لا تنظر إلى المراكب الفاخرة، ولا إلى القصور الشاهقة، ولا إلى ناطحات السحاب، ولا إلى الممتلكات مهما كانت؛ فإن اللّٰه يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [95]، فهو مهموم مغموم يعيش في ضنك، ولهذا نجد الصحابة رضوان اللّٰه تعالى عليهم يركب الواحد منهم الناقة في شدة الحر من مكة إلى المدينة وليس له زاد إلا التمر، وكسرات جافة من الخبز، وليس سفره سفراً محضاً؛ بل هو سفر من أجل الجهاد أو طلب العلم، فكانوا مع ذلك أقوياء سعداء، بل كانوا يتلذذون بما يجدونه من مصاعب ومشاق وآلام، وقد قال ابن القيم في موضع آخر: إن الإنسان إذا أصابته مصيبة تضرع واستغاث، ودعا اللّٰه، وانكسر بين يدي اللّٰه سبحانه وتعالى، فيجد من لذة تلك المناجاة وحلاوتها ما ينسيه أذى المصيبة وألمها وضررها.

---

95 / سورة طه:(124).

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإذا فقدت العين ما خلقت له من قوة الإبصار، وفقدت الأذن ما خلقت له من قوة السمع، واللسان ما خلق له من قوة الكلام، فقدت كمالها، والقلب خلق لمعرفة فاطره ومحبته وتوحيده، والسرور به، والابتهاج بحبه، والرضى عنه، والتوكل عليه، والحب فيه، والبغض فيه، والموالاة فيه، والمعاداة فيه، ودوام ذكره، وأن يكون أحب إليه من كل ما سواه، وأرجى عنده من كل ما سواه، وأجل في قلبه من كل ما سواه، ولا نعيم له ولا سرور ولا لذة -بل ولا حياة إلا بذلك- وهذا له بمنزلة الغذاء والصحة والحياة، فإذا فقد غذاءه وصحته وحياته، فالهموم والغموم والأحزان مسارعة من كل صوب إليه، ورهن مقيم عليه.

ومن أعظم أدوائه -أي من أعظم أدواء القلب- الشرك، والذنوب، والغفلة، والاستهانة بمحابهِ ومراضيه، وترك التفويض إليه، وقلة الاعتماد عليه، والركون إلى ما سواه، والسخط بمقدوره، والشك في وعده ووعيده.

وإذا تأملت أمراض القلب، وجدت هذه الأمور وأمثالها هي أسبابها، لا سبب لها سواها إلى أن قال: "قال بعض المتقدمين من أئمة الطب: من أراد عافية الجسم؛ فليقلل من الطعام والشراب، ومن أراد عافية القلب؛ فليترك الآثام -الذنوب والمعاصي- وقال ثابت بن قرة: راحة الجسم في

قلة الطعام، وراحة الروح في قلة الآثام، وراحة اللسان في قلة الكلام.

والذنوب للقلب بمنزلة السموم؛ إن لم تهلكه أضعفته ولابد، وإذا ضعفت قوته لم يقدر على مقاومة الأمراض.

قال طبيب القلوب عبد الله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

فالهوى أكبر أدوائها، ومخالفته أعظم أدويتها، والنفس في الأصل خلقت جاهلة ظالمة" كما قال تعالى: ((إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا)) ﴿[96]﴾ ,ولهذا لا تعرف طريق التداوي الحقيقي لأنها تجهله، أو تضع الدواء في غير موضعه، وهذا هو الظلم، قال: "فهي لجهلها تظن شفاءها في اتباع هواها، وإنما فيه تلفها وعطبها، ولظلمها لا تقبل من الطبيب الناصح، بل تضع الداء موضع الدواء فتَعتمده، وتضع الدواء موضع الداء فتجتنبه، فيتولد من بين إيثارها للداء واجتنابها للدواء أنواع من الأسقام والعلل التي تعيي الأطباء، ويتعذر معها الشفاء".

المناسبة بين أمراض القلوب والقدر

ثم يقول رحمه الله: "والمصيبة العظمى أنها تركب ذلك على القدر" ولهذا قلنا: هناك مناسبة بين الحديث عن

---

96 / سورة الأحزَاب :(72).

أمراض القلوب وبين باب القدر؛ لأنه من أكثر ما يقع فيه الضلال والمرض عياذاً بالله، فالمصيبة أن النفس تركب ذلك على القدر فَتُبرئ نفسها من جميع الذنوب، قال: "فَتُبرئ نفسها، وتلوم ربها بلسان الحال دائماً، ويقوى اللوم حتى يصرح به اللسان"، فتراه يلوم القدر، ويشكو الخالق عز وجل إلى المخلوقين.

يقول رحمه الله: "فإذا وصل العليل إلى هذه الحال فلا يطمع في برئه، إلا أن تتداركه رحمة من ربه، فيحييه حياة جديدة، ويرزقه طريقة حميدة، فلهذا كان حديث ابن عباس في دعاء الكرب مشتملاً على توحيد الإلهية والربوبية، ووصف الرب سبحانه بالعظمة والحلم، وهاتان الصفتان مستلزمتان لكمال القدرة والرحمة، والإحسان والتجاوز، ووصفه بكمال ربوبيته للعالم العلوي والسفلي، والعرش الذي هو سقف المخلوقات وأعظمها".

الخاتمة

في خَاتِمَةْ كتابي، أشكر اللّٰه عز وجل، وأتمنى أن يديم عليَّ نعمة العلم والمعرفة، وأتمنى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه اللّٰه سبحانه وتعالى، الذي وفقني بعرض الآراء التي تخص القلب الذي هو مكان النظر الإلهِ الوحيد في الإنسان ، وبصلاحهِ يصلح الجسد كله وَبفساده يفسد الجسد كله، رفاقي الكرام إذ اكانت الملائكة لاتدخُل بيتاً فيهِ صورة فكيف بنظر اللّٰه جلا جلاله لقلب تتجسد فيهِ صُورت غيره من البشرِ أو حب الدنياة، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن إن أشاءَ أذاقه وإن أشاءَ أقامه،عرضت الحديث عن القلب مُؤصلاً من الكتاب والسنة وَاراء كبار العلماء والباحثين، ليكونا من أهم الأبحاث العلمية التي دونة في الآون الآخِيرة،وإن أخطأت فسامحوني، ولا تنسوا أنني بشر، وشكرًا جزيلاً لحسن القراءة وسعة الصدر.

الفهرسة

الفصل الأول
أنواع القلوب في القرآن الكريم

الفرع الأول
آيات ذكر القلب في القرآن الكريم

الفصل الثاني
انواع القلوب في السنة النبوية المطهرة

الفصل الثالث
مفاتيح رقة القلوب وجلاؤوها

الباب الثالث
أمراض القلوب وجلاؤوها